(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٤٨-٥٠]

الشيخ: جزاكَ اللهُ خيرًا، نعم يا محمَّد، اقرأْ التفسير

القارئ: التفسير؟

الشيخ: إي إي

القارئ: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ}؟

الشيخ: الآيةُ الَّتي بعدَها [...]

القارئ: طيب، {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ}؟

الشيخ: إي نعم اقرأْ كلامَ الشيخِ

(تفسيرُ السعديّ)

القارئ: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، قالَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنُ ناصرٍ السعديُّ في تفسيرِهِ:

يقولُ تعالى: {وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} الَّذي هوَ القرآنُ العظيمُ، أفضلُ الكتبِ وأجلُّها. {بِالْحَقِّ} أي: إنزالًا بالحقِّ، ومشتملًا على الحقِّ في أخبارِهِ وأوامرِهِ ونواهيهِ. {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} لأنَّهُ شهِدَ لها ووافقَها، وطابقَتْ أخبارُهُ أخبارَها، وشرائعُهُ الكبارُ شرائعَها، وأخبرَتْ بهِ، فصارَ وجودُهُ مصداقًا لخبرِها.{وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} أي: مشتملًا على ما اشتملَتْ عليهِ الكتبُ السابقةُ، وزيادةٌ في المطالبِ الإلهيَّةِ والأخلاقِ النفسيةِ. فهوَ الكتابُ الَّذي تتبَّعَ كلَّ حقٍّ جاءَتْ بهِ الكتبُ، فأمرَ بهِ، وحثَّ عليهِ، وأكثرَ من الطرقِ الموصلةِ إليهِ. وهوَ الكتابُ الَّذي فيهِ نبأُ السابقينَ واللاحقينَ، وهو الكتابُ الَّذي فيه الحكمُ

والحكمةُ، والأحكامُ الَّذي عرضَتْ عليهِ الكتبُ السابقةُ، فما شهدَ لهُ بالصدقِ فهو المقبولُ، وما شهدَ لهُ بالردِّ فهو مردودٌ، قد دخلَهُ التحريفُ والتبديلُ، وإلَّا فلو كانَ مِن عندِ اللهِ، لم يخالفْهُ

الشيخ: أيش يقولُ؟

القارئ: وإلَّا فلو كانَ مِن عندِ اللهِ، لم يخالفْهُ

الشيخ: أيش؟!

طالب: لم يخالفْهُ

الشيخ: فلو لم؟

القارئ: سم

الشيخ: فلو لم؟

القارئ: لا، **وإلَّا فلو كانَ**، خلِّني أبي [أريدُ] أعيدُ قبل، **وما شهدَ لهُ بالردِّ فهو مردودٌ، قد دخلَهُ التحريفُ والتبديلُ، وإلَّا فلو كانَ من عندِ اللهِ، لم يخالفْهُ**

الشيخ: يعني هذا المردودُ، يعني أقولُ هذا المردودُ دلَّ القرآنُ على ردِّه وإبطالِه لو كانَ من عند اللهِ، لم يخالفْه. ماشي نعم، الضميرُ يعودُ إلى المردودِ الَّذي ردَّه القرآنُ، دلَّ على بطلانِه، نعم، الذي بعده

القارئ: {فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ} مِن الحكمِ الشرعيِّ الَّذي أنزلَهُ اللهُ عليكَ. {وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} أي: لا تجعلْ اتِّباعَ أهوائِهم الفاسدةِ المعارضةِ للحقِّ بدلًا عمَّا جاءَكَ مِن الحقِّ فتستبدلُ الَّذي هوَ أدنى بالَّذي هو خيرٌ. {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ} أيُّها الأممُ جعلْنا {شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} أي: سبيلًا وسنَّةً، وهذهِ الشرائعُ الَّتي تختلفُ باختلافِ الأممِ، هَيَ الَّتي تتغيَّرُ بحسبِ تغيُّرِ الأزمنةِ والأحوالِ، وكلُّها ترجعُ إلى العدلِ في وقتِ شرعتِها، وأمَّا الأصولُ الكبارُ الَّتي هيَ مصلحةٌ وحكمةٌ في كلِّ زمانٍ، فإنَّها لا تختلفُ، فتُشرَعُ في جميعِ الشرائعِ. {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} تبعًا لشريعةٍ واحدةٍ، لا يختلفُ

الشيخ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ}

القارئ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} تبعًا لشريعةٍ واحدةٍ، لا يختلفُ متأخِّرُها ولا متقدِّمُها. {وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} فيختبرُكم وينظرُ كيفَ تعملونَ، ويبتلي كلَّ أمةٍ بحسبِ ما تقتضيهِ حكمتُهُ، ويؤتي كلَّ أحدٍ ما يليقُ بهِ، وليحصلَ التنافسُ بينَ الأممِ فكلُّ أمَّةٍ تحرصُ على سبقِ غيرِها، ولهذا قالَ:

{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} أي: بادرُوا إليها وأكملُوها، فإنَّ الخيراتِ الشاملةَ لكلِّ فرضٍ ومستحبٍّ، مِن حقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادِهِ، لا يصيرُ فاعلُها سابقًا لغيرِهِ مستوليًا على الأمرِ، إلَّا بأمرين:

المبادرةِ إليها، وانتهازِ الفرصةِ حينَ يجيءُ وقتُها ويعرضُ عارضُها، والاجتهادُ في أدائِها كاملةً على الوجهِ المأمورِ بهِ. ويُستدَلُّ بهذهِ الآيةِ على المبادرةِ لأداءِ الصلاةِ وغيرِها في أولِ وقتِها، وعلى أنَّهُ ينبغي أنْ لا يقتصرَ العبدُ على مجرَّدِ ما يجزئُ في الصلاةِ وغيرِها

الشيخ: وأنَّه لا ينبغي أنْ يقتصرَ

القارئ: وعلى أنَّهُ ينبغي أنْ لا يقتصرَ العبدُ على مجرَّدِ ما يجزئُ في الصلاةِ وغيرِها مِن العباداتِ مِن الأمورِ الواجبةِ، بل ينبغي أنْ يأتيَ بالمستحبَّاتِ الَّتي يقدرُ عليها لتتمَّ وتكملَ، ويحصلَ بها السبقُ.

{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} الأممُ السابقةُ واللاحقةُ، كلُّهم سيجمعُهم اللهُ ليومٍ لا ريبَ فيهِ. {فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} مِن الشرائعِ والأعمالِ، فيثيبُ أهلَ الحقِّ والعملِ الصالحِ، ويعاقبُ أهلَ الباطلِ والعملِ السيِّئِ. {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزلَ اللَّهُ} هذهِ الآيةُ هيَ الَّتي قيلَ: إنَّها ناسخةٌ لقولِهِ: {فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ}

الشيخ: أيش يقولُ؟ هذهِ الآيةُ هي الَّتي قيلَ

القارئ: هذهِ الآيةُ هيَ الَّتي قيلَ: إنَّها ناسخةٌ لقولِهِ: {فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} والصحيحُ: أنَّها ليستْ بناسخةٍ، وأنَّ تلكَ الآيةَ تدلُّ على أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مخيَّرٌ بينَ الحكمِ بينَهم وبينَ عدمِهِ، وذلكَ لعدمِ قصدِهم بالتحاكمِ للحقِّ. وهذهِ الآيةُ تدلُّ على أنَّهُ إذا حكمَ، فإنَّهُ يحكمُ بينَهم بما أنزلَ اللهُ

الشيخ: طبعًا هذهِ تطابقُ {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ} [المائدة:٤٢]، والقسطُ هو ما حكمَ اللهُ به، فهي ليستْ ناسخةً بل هي مطابقةٌ تمامًا

القارئ: فإنَّهُ يحكمُ بينَهم بما أنزلَ اللهُ مِن الكتابِ والسنَّةِ، وهو القسطُ الَّذي تقدَّمَ أنَّ اللهَ

الشيخ: نعم وهو القسطُ الذي تقدَّمَ، تمام

القارئ: أنَّ اللهَ قالَ: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ} [المائدة:٤٢]، ودلَّ هذا على بيانِ القسطِ، وأنَّ مادَّتَهُ هو ما شرعَهُ اللهُ من الأحكامِ، فإنَّها المشتملةُ على غايةِ العدلِ والقسطِ، وما خالفَ ذلك فهو جورٌ وظلمٌ. {وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} كرَّرَ النهيَ عن اتِّباعِ أهوائِهم لشدَّةِ التحذيرِ منها. ولأنَّ ذلك في مقامِ الحكمِ والفتوى، وهوَ أوسعُ، وهذا في مقامِ الحكمِ وحدَهُ، وكلاهما يلزمُ فيهِ أنْ لا يتَّبعَ أهواءَهم المخالفةِ للحقِّ، ولهذا قالَ: {وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} أي: إيَّاكَ والاغترارَ بهم، وأنْ

يفتنوكَ فيصدُّوكَ عن بعضِ ما أنزلَ اللهُ إليكَ، فصارَ اتّباعُ أهوائِهم سببًا موصلًا إلى تركِ الحقّ الواجبِ، والفرضُ اتّباعُهُ. {فَإِن تَوَلَّوْا} عن اتّباعِكَ واتّباعِ الحقّ {فَاعْلَمْ} أنَّ ذلكَ عقوبةٌ عليهم وأنَّ اللهَ يريدُ {أَنْ يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} فإنَّ للذنوبِ عقوباتٍ عاجلةً وآجلةً، ومِن أعظمِ العقوباتِ أنْ يُبتلَى العبدُ ويُزيَّنَ لهُ تركُ اتّباعِ الرسولِ، وذلكَ لفسقِهِ.

{وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} أي: طبيعتُهم الفسقُ والخروجُ عن طاعةِ اللهِ واتّباعِ رسولِهِ. {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} أي: أفيطلبونَ بتولّيهم وإعراضِهم عنكَ حكمَ الجاهليَّةِ، وهو كلُّ حكمٍ خالفَ ما أنزلَ اللهُ على رسولِهِ. فلا ثَمَّ إلَّا حكمُ اللهِ ورسولِهِ

الشيخ: فلا؟

القارئ: فلا ثَمَّ إلَّا حكمُ اللهِ ورسولِهِ أو حكمُ الجاهليَّةِ. فمَن أعرضَ عن الأولِ ابتُلِيَ بالثاني المبنيّ على الجهلِ والظلمِ والغيّ، ولهذا أضافَهُ اللهُ للجاهليةِ، وأمَّا حكمُ اللهِ تعالى فمبنيٌّ على العلمِ، والعدلِ والقسطِ، والنورِ والهدى. {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فالموقِنُ هو الَّذي يعرفُ الفرقَ بينَ الحكمينِ ويميّزُ –بإيقانِهِ– ما في حكمِ اللهِ مِن الحسنِ والبهاءِ، وأنَّهُ يتعيَّنُ –عقلًا وشرعًا– اتّباعُهُ. واليقينُ، هو العلمُ التامُّ الموجبُ للعملِ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..}

الشيخ: أحسنْتَ، جزاكَ اللهُ خيرًا، باركَ اللهُ فيكَ.